



تحو وعى إسلامى

١٦٥

حسن البنا
الرجل القرآنى

بقلم الكاتب الأمريكى
روبير جاكسون
ترجمة: أنور الجندى



ل.ب.ق

حسن البنا الرجل القرآني

تأليف : روبر جاكسون
ترجمة : انور الجندی

المختار الاسلامی
للطباعة والنشر والتوزيع
ص . ب ١٧٠٧ القاهرة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٩٦٧ هـ - ١٩٧٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في فبراير سنة ١٩٤٦ ، كنت في زيارة للقاهرة ..
وقد رايت أن اقابل الرجل الذي يتبعه نصف مليون
شخص ، وكتبت في النيويورك كرونكل بالنص :
« زرت هذا الاسبوع رجلا قد يصبح من أبرز الرجال
في التاريخ المعاصر . وقد يخفى اسمه اذا كانت
انحواث اكبر منه . ذلك هو الشيخ حسن البنا زعيم
الاخوان » ..

هذا ماكتبته منذ خمس سنوات ، وقد صدقتني
الاحداث فيما ذهبت اليه ، فقد ذهب الرجل مبكرا ..
وكان امل الشرق في صراعه مع المستعمر . وانا افهم
جيدا ان الشرق يطمح الى مصلح يضم صفوفه .
ويرد له كيانه ، غير انه في اليوم الذي بات فيه مثل
هذا الامل قاب قوسين او ادنى انتهت حياة الرجل
على وضع غير مالوف .. وبطريقة شاذة ..

هكذا الشرق لا يستطيع ان يحتفظ طويلا بالكنز
الذي يقع في يده .. لقد لغت هذا الرجل نظري
بصورته الفذة ، عندما كنت ازور القاهرة بعد ان
التقيت بطائفة كبرى من زعماء مصر ورؤساء الاحزاب
فيها .

كان هذا الرجل خلاب المظهر ، دقيق العبارة ،
بالرغم من انه لا يعرف لغة اجنبية . لقد حاول اتباعه
الذين كانوا يترجمون بيني وبينه ان يصوروا لي

اهداف هذه الدعوة ، وافاضوا في الحديث على صورة
لم تقمى .

وظل الرجل صامتا . حتى اذا بدت له الحيرة في
وجهى . قال لهم : قولوا له شيئا واحدا : هل قرأت
عن محمد ؟ قلت : نعم . قال : هل عرفت ما دعا اليه
وصنعه ؟ قلت : نعم . قال : هذا هو ما نريده .

وكان في هذه الكلمات القليلة ما اغنانى عن الكثير
مما حاول البعض من انصار البنا ان يقولوه لى .

.. لفت نظرى الى هذا الرجل سمته البسيط ،
ومظهره العادى ، وثقته التى لا حد لها بنفسه ،
وايمانه العجيب بفكرته .

كنت اتوقع ان يجيء اليوم الذى يسيطر فيه
هذا الرجل على الزعامة الشعبية . لافى مصر وحدها ،
بل فى الشرق كله .

وسافرت من مصر بعد ان حصلت على تقارير
وافية ضافية عن الرجل وتاريخه . واهدافه وحياته ،
وقد قرأتها جميعا واخذت أقارن بينه وبين جمال
الدين الافغانى ، ومحمد عبده ، ومحمد احمد المهدي ،
والسيد السنوسى ، ومحمد بن عبدالوهاب ، فوصل

بى البحث الى ان الرجل قد افاد من تجارب هؤلاء
جميعا ، واخذ خير ما عندهم ، وامكنه ان يتفادى
ما وقعوا فيه من اخطاء . ومن امثلة ذلك انه جمع
بين وسيلتين متعارضتين ، جرى على احدهما الافغانى
وارتضى الاخرى محمد عبده .

.. كان الافغانى يرى الاصلاح عن طريق الحكم ،
ويراه محمد عبده عن طريق التربية .. وقد استطاع
حسن البنا ان يدمج الوصيلتين معا ، وان ياخذ بهما
جميعا ، كما انه وصل الى مالم يصلا اليه ، وهو جمع
دعوة المثقفين من الطبقات والثقافات المختلفة الى
مذهب موحد ، وهدف محدد .

ثم اخذت اتتبع خطوات الرجل بعد ان عدت من
امريكا وانا مشغول به حتى اثير حوله غبار الشبهات
حينما ، مما انتهى الى اعتقال انصاره ، وهى مرحلة
كان من الضرورى ان يمر بها اتباعه ، ثم استشهاده
قبل ان يتم رسالته .

وبالرغم من اننى كنت اسمع فى القاهرة ان الرجل
لم يعمل شيئا حتى الآن وانه لم يزد على جمع
مجموعات ضخمة من الشباب حوله ، غير ان معركة
فلسطين ، ومعركة التحرير ، الاخيرة فى القناة ، قد
اثبتتا بوضوح ان الرجل صنع بطولات خارقة ..
قل ان تجد لها مثيلا ، الا فى تاريخ المهد الاول للدعوة
الاسلامية .

كل ما استطيع ان اقله هنا ، ان الرجل اقلت
من غوائل المرأة والمال والجاه ، وهى المغربات الثلاث
التي سلطها المسعر على المجاهدين وقد فشلت كل
انحاولات التي بدلت في سبيل اغرائه .

وقد اعانه على ذلك صوفيته الصادقة ، وزهده
الطبيعي ، فقد تزوج مبكرا ، وعاش فقيرا ، وجعل
جاهه في نفة اولئك الذين التفوا حوله ، وأمضى حياته
العصير العريضة مجانيا لميادين الشهرة الكاذبة ،
واسباب الترف الرخيص .

وكان يتربص الاحداث في صبر ويلقاها في هدوء ،
ويتعرض لها في اطمئنان ، ويواجهها في جراءة .

لقد شاءت الاقدار ان يرتبط تاريخ ولادته ،
وتاريخ وفاته بحادثين من اضخم الاحداث في الشرق
فقد ولد عام ١٩٠٦ وهو عام دنشواي ، ومات عام
١٩٤٩ ، وهو عام اسرائيل ، التي قامت شكليا سنة
١٩٤٨ وواقعا سنة ١٩٤٩ .

وكان الرجل عجيبا في معاملة خصومه وانصاره
على السواء ، كان لا يهاجم خصومه ولا يصارعهم بقدر
ما يحاول اقناعهم وكسبهم الى صفه ، وكان يرى ان
الصراع بين هيتين لا يأتي بالنتائج المرجوة .

وكان يؤمن بالخصومة الفكرية ، ولا يحولها الى خصومه شخصية ، ولكنه مع ذلك لم يسلم من ايذاء معاصريه ومنافسيه ، فقد اعلنت عليه الاحزاب حربا عنيفة . . كان الرجل يقتفى خطوات عمر وعلى ، ويصارع في مثل بيثة الحسين ، فمات مثلهم شهيدا . لقد سمعت الكثير من خصومه، وكان هذا طبيعيا ، بل كان من الضروري ان يختلف الناس في رجل استطاع ان يجمع حوله هذا الحشد الضخم من الناس بسحر حديثه وجمال منطقه ، وقد انصرف هؤلاء من حول الاحزاب، والجماعات والفرق الصوفية والمقاهى ودور اللهو .

وكان لا بد ان يصبح هذا مثار حقد بعض الناس الذين ادهشهم ان يستطيع هذا الرجل المنجرد الفقير ان يجمع اليه مثل هذا الشباب .

ومن الامور التي لفتت نظري انه اخذ من عمر خصلة من ابرز خصاله ، تلك هي ايماد الاهل عن مفانم الدعوة ، فقد ظل عبدالرحمن ومحمد وعبد الباسط ، وهم اخوته ، يميدين عن كبريات المناصب، ولطالما كان يحاسبهم، كما كان عمر يحاسب اهله ويضاعف لهم العقوبة اذا قصروا .

وقد اتيح لى ان التقى بالدة الوثور ، الشيخ عبدالرحمن البنا ، وسمعته يتحدث مع بعض الاخوان،

انه كان يثنى لو ان ابنه وضع الكتب في امر الاسلام
واكتفى بذلك ، وقد رد عليه الاستاذ البنا بأنه منشرح
المصدر لمعالجة الاسلام عن طريق تألف الرجال .
ثم يتحدث جاكسون عن نشأة حسن البنا وافكاره
فيقول :

... في الازفة الضيقة في احشاء القاهرة ، في حارة
الروم ، وسوق السلاح وعطفة نافع ، وحارة
الشماعرجي .. بدا الرجل يعمل ، وتجمع حوله
نفر قليل ، وكان حسن البنا الداعية الاول في الشرق
اندى قدم للناس برنامجا مدروسا كاملا ، لم يفصل
ذلك احد قبله ، لم يفعله جمال الدين ولا محمد
عبده ، ولم يفعله زعماء الأحزاب والجماعات الذين
لمت أسماؤهم بعد الحرب العالمية الاولى ..

... واستطيع بناء على دراساتي الواسعة ان اقول
ان حياة الرجل وتصرفاته كانت تطبقا صادقا
للمبادئ التي نادى بها. وقد منح « الاسلام » كما
كان يفهمه ويدعو اليه ، حلة متألقة ، قوية الأثر في
النفوس ، لم تنح لزعماء السياسة ولا لرجال الدين !

لم يكن من الذين يشترطون النجاح بثمن بخس ،
ولم يجعل الواسطه مبررة للفاية، كما يفعل رجال
السياسة ، ولذلك كان طريقه مليئا بالاشواك ، وكانت

آية متابعه انه يعمل في مجرى تراكت فيه الجنادل
والصخور ، وكان هذا مما يدعو الى ان يدفع اتباعه
الى التسامى ويدفعهم الى التغلب على مغريات عصرهم
والاستعلاء على الشهوات التى ترتطم بسفن النجاة
فتحول دون الوصول الى البر .

كان يريدان يصل الى الحل الامثل ، مهما طال
طريقه ، ولذلك رفض المساومة ، والفى من برنامج
انصاف الحلول ، وداوم فى الحاح القول بأنه لا تجزئة
فى الحق المقدس فى الحرية والوطنية والسيادة ..
وكان هذا مما سبب له المتاعب والاذى .

وراعت بعض من حوله الثمرة ، وعجزت اعصابهم
عن ان تقاوم البريق ، فسقطوا فى منتصف الطريق .

كان يؤمن بالواقعية ويفهم الاشياء على حقيقتها ،
مجردة من الأوهام ، وكان يبدو - حين تلقاه - هادئا
غاية الهدوء . وفى قلبه مرجل يطفى ، ولهب يبضطرم
فقد كان الرجل غيورا على الوطن الاسلامى ، يتحرق
كلما سمع بأن جزءا منه قد اصابه سوء او ألم به اذى .
ولكنه لم يكن يصرف غضبته - كبعض الزعماء - فى
مصارف الكلام او الضجيج او الصياح ، ولا ينفس
عن نفسه بالأوهام ، وانما يوجه هذه الطاقة القوية
الى العمل والانشاء والاستعداد لليوم الذى يمكن ان
تتحقق فيه آمال الشعوب .

وكان في عقله مرونة ، وفي تفكيره تحرر ، وفي روحه اشراق ، وفي اعماقه ايمان قوى جارف .

وكان متواضعا تواضع من يعرف قدره ، متفائلا ، عف اللسان ، عف القلم ، يجلب نفسه عن ان يجرى مجرى اصحاب الالسنه الحداد .

كان مذهبه السياسى ان يرد مادة الاخلاق الى صميم السياسة بعد ان نزعت منها ، وبعد ان قيل ان السياسة والاخلاق لا يجتمعان .

وكان يريد ان يكذب قول تاليران : « ان اللفة لا تستخدم الا لاختفاء آرائنا الحقيقية » فقد كان ينكر ان يضلل السياسى سامعيه او اتباعه ، او امته . وكان يعمل على ان يسمو بالجماهير ، ورجل الشارع ، فوق حذاع السياسة ، وتضليل رجال الأحزاب .

وكان يوم الثلاثاء .. يوما مشهودا يتجمع فيه بعض مئات من انحاء القاهرة ليستمعوا الى هذا الرجل الذى يصعد المنصة فى جلبابه الابيض وعباءته البيضاء وعمامته الجميلة ، فيجلب النظر فى الحاضرين لحظة .. بينما تنطلق الحناجر بالهتاف ..

.. ولا تدهشك خطابه بقدر ما تدهشك اجابته

من الأسئلة التي كان بعضها يتصل بشخصيته وحياته وأسرته .

وقد سئل مرة بعد أن ترك عمله في الحكومة ورفض مرتب الجريدة الضخم الذي كان يبلغ مائة جنيه .. مم يأكل .. فقال في بساطة : كان محمد يأكل من مال خديجة وأنا أكل من مال « أخ خديجة » نغصد صهره ..

وكان أعجب ما في الرجل صبره على الرحلات في الصعيد .. هذه الرحلات التي لا تبدأ الا في فصل الصيف حيث تكون بلاد الوجه القبلى في حالة غليان .. وفي أحشائها يتنقل الرجل بالقطار والسيارة والدابة وفي القوارب وعلى الأقدام .

وهناك تراه ، غاية في القوة واعتدال المزاج .. لا الشمس اللافحة ، ولا متاعب الرحلة .. تؤثر فيه ولا هو يضيع بها .. تراه منطلقا كالسهم ، منصوب القامة يتحدث الى من حوله ، ويستمع ، ويفصل في الأمور .

وقد أمدته هذه الرحلات ، في خمسة عشر عاما ، زار خلالها أكثر من ألفي قرية ، وزار كل قرية بضعة مرات ، بفيض غزير من العلم والفهم للتاريخ القريب والبعيد وللأسر والعائلات والبيوتات وأحداثها وأمجادها

وما ارتفع منها وما انخفض .. والوانها السياسية
وانرها في قراها وبلادها ورضا الناس عنها او بغضهم
لها .. وما بين البلاد افرادا واحزابا وهيئات وطوائف
من خلافات او حزازات .. كان يزور احيانا بلدا من
اببلاد بلغت فيه الخصومة بين عائلتين مبلغها ، وكل
عائلة تود ان تستأثر به لتنتصر على الأخرى ، فيقصد
الى المسجد مباشرة ، او بغير طريق سفره فلا يستقبله
احد الا بعد ان يكون قد قصد الى دار عامل فقير في
البلد ..

.. وكنت اذا قلت له فلان .. الحسينى مثلا او
الحديدي او الحمصانى قال لك .. ان هذا الاسم
تحمله خمس أسر او اربع . . احداها في القاهرة
والثانية في دمنهور والثالثة في الزقازيق والرابعة في ..
فأياها تقصد ؟

وكانت هذه الزيارات المتوالية طوال هذه السنوات
المتتالية ، قد كونت له رأيا في الناس .. فقل ان تكون
فرية في مصر لا يعرف الرجل شايها واعيانها ووزراءها
ورجال الاحزاب والدين والمتصوفة فيها .. ولا يكون
قد تحدث اليهم واستمع منهم .. وعرف آمالهم
ورغباتهم ، وفي خلال هذه الزيارات .. كنت ترى
الرجل بسيطا غاية البساطة ينام في الاكواخ احيانا ،
ويجلس على « المصاطب » ، ويأكل ما يقدم له . .

لا يحرص الا على شئ واحد هو الا يفهم الناس عنه انه شيخ طريقة .. او من الطامعين في المنفعة العاجلة .

ولقد حدثني انه كان يدخل بلدا من البلاد اجبانا لا يعرف فيه أحدا فيقصد الى المسجد ، فيصلي مع الناس، ثم يتحدث بعد الصلاة عن الاسلام .. وحينما يصرف الناس عنه فينام على حصر المسجد وقد وضع حقيبته تحت راسه .. والتف بعباءته . ولاشك وشبانا ، مثقفين وعوام .. . وانه قد استمع اليهم وقال لهم .. وافاد منهم خبرة ضخمة واسعة .. اضافها الى علمه وثقافته .. وانسى على ثقة من ان حسن البنارجل لا ضريب له في هذا العصر ، وانه قد مر في تاريخ مصر ، مرور الطيف المابر ... الذي لا يتكرر ..

« كان لابد ان يموت هذا الرجل الذي صنع التاريخ وحول مجرى الطريق شهيدا .. كما مات عمر وعلى والحسين ، فقد كان الرجل يقتفى خطواتهم .

مات في عمر الزهر النضير ، وفي نفس السن التي مات فيها كثير من العباقرة ورجال الفكر والفن .. وقضى وهو يسطع ويتألق .

وعاش الرجل كل لحظة من حياته ، بعد ان

عجزت كل وسائل الاغراء في تحويله عن «نقاء» الفكرة
وسلامة الهدف .

لم يحن رأسه ، ولم يتراجع ولم يتردد امام
المنبسطات ولا المهددات .. وكان الرجل قدى في
هيون بعض الناس ، وحاول الكثيرون ان يفيدوا من
الغوة التي يسيطر عليها ، فقال لهم ان انصاره ليسوا
عصا في يد أحد ، وانهم لله وحده . وحاول البعض ان
يضموه اليهم او يطوره ، فكان اصعب عودة من ان
يخدع او ينطوى ..

وكان على بساطته التي تظهر للمتحدث اليه ،
بعيد الفور الى الدرجة التي لا تفلت متصلا به او متحدثا
اليه من ان يقع في شركه .. ويؤمن بالفكرة التي يدعو
اليها ..

وكان لا يواجه الا من يعترض طريق دعوته ، وكان
يستر من لم يكشف خصومته . وكان لا يهاجم عهدا
مادام هذا العهد لا يحول دون الامتداد الطبيعي لدعوته
وكان يدخر قوته للوصن ، ويكر نفسه ودعوته من ان
يكونا اداة صراع داخلي .. وظن بعض الناس ان هذا
سقف ولين ومسايرة ، وما كان كذلك ، فالرجل
بطبيعته لم يكن يحب الصراع في معركة جانبية، ولا يقبل
توزيع قواه .. وانما يؤمن بالتطور والانتقال من مرحلة

الى مرحلة ، ومن دور الى دور على اساس النضج والتكامل ، وكان هذا يزعم خصوم الوطن الذي لم يعهد سياسة تعلق على المطامع الفردية ، وتتمالى على الاغراض الداتية، وتنقى جوها من الدوافع الشخصية الخاصة .

وكان الرجل على قدرته الفائقة في ضبط اعصابه كيسا في مواجهة الامور ، لبقا في استقبال الاحداث والازمات .

والى هذا كله كان غاية الاعتدال ، فكان يعيش براتب لا يزيد على راتبه المدرسى المحدود ، وبين يديه الاموال الضخمة المعروضة من اتباعه ، وحوله من العاملين معه من يصل دخله الى ضعف او اضعاف ما يحصل عليه .

زهد وبساطة

وكان في بيته مثال الزهادة ، وفي ملبسه مثال البساطة ، وكنت تلقاه في تلك الحجرة المتواضعة الفراش ذات السجادة العتيقة والمكتبة الضخمة ، فلا تراه يختلف عن اى انسان عادى، الا ذلك الاشعاع القوى والبريق اللامع الذى تبعثه عيناه . والذى لا يقوى الكثيرون على مواجهته ، فاذا تحدث سمعت من الكلمات القليلة المسدودة موجزا واضحا للقضايا المطولة التى تحتوبها المجلدات ، وكان الى هذه الثقافة

الواسعة الضخمة ، قديرا على فهم الاشخاص .
لا يفاجئك بالرأى المعارض ، ولا يصدمك بما يخالف
مذهبك ، وانما يحتال عليك حتى يصل الى قلبك
ويتصل بك فيما يتفق معك عليه . . ويمدرك فيما
تختلفان فيه . وهو واسع الأفق الى ابعد حد، يفتح
التوافد للهواء الطلق ، فلا يكره حرية الرأى ولا يضيق
بالرأى المعارض، وقد استطاع أن يحمل الرأى الجديد
الى الجماهير دون أن يصطدم بهم . . هذا الجديد
الذى لو عرض بغير لباقة لوقفوا ضده وحاربوه . .
لقد نقلهم من وراثياتهم ، وغير فهمهم للدين : وحول
اتجاههم فى الحياة واعطاهم الهدف وملا صدورهم
بالأمل فى الحرية والقوة .

وكان له من صفات الزعماء ، صوته الذى تتمثل
فيه القوة والعاطفة ، وبيانه الذى يصل الى نفوس
الجماهير ولا تنبو عنه أذواق المثقفين . وتلك اللباقة
والحنكة والمهارة فى ادارة الحديث والاقناع .

وبهذه الصفات جميعها استطاع كسب هذه الطائفة
الضخمة من الانصار فى هذا الوقت القصير من الزمن،
فحول وجهات نظرها ، ونقلها نقلة واسعة . . دون
ارتطام أو صراع . .

كان سمته البسيط ولحيته الخفيفة، وذلك المظهر

الذى لا تجد فيه تكلف بعض العلماء ، ولا العنجهية
ولا السذاجة .. قد اكسبه الوقار ..

ولقد كانت شخصية حسن البنا جديدة على
الناس .. عجب لها كل من رآها واتصل بها.. كان
فيه من الساسة دهاؤهم ، ومن القادة قونهم ، ومن
العلماء حججهم ، ومن الصوفية ايمانهم ، ومن الرياضيين
حماسهم ، ومن الفلاسفة مقاييسهم ، ومن الخطباء
لباقتهم ومن الكتاب رصانتهم .

وكان كل جانب من هذه الجوانب يبرز كطابع خاص
في الوقت المناسب ، ولكل هذه الصفات التى تقرؤها في
كتب شمائل الصحابة والتابعين ، لم يكن مقدرا ان
يميش طويلا في الشرق .. وكان لابد ان يموت باكرا ،
فقد كان غريبا عن طبيعة المجتمع ، يبدو كأنه الكلمة
التي سبقت وقتها ، أو لم يأت وقتها بعد .

ولم يكن الغرب ليقف مكتوف اليدين ، امام مثل
هذا الرجل .. الذى أعلى كلمة الاسلام على نحو
جديد .. وكشف لرجل الشارع حقيقة وجوده
ومصره وجمع الناس على كلمة الله .. وخفت بدعوته
ريح التغريب والجنس ونزعات القومية الضيقة ..
واعتمدت لهجات الكتاب ، وبدأ بعضهم يجرى في ركب
« الريح الاسلامية » .

ثقافة حسن البنا

ولم تكن هناك دعوة ولا نزعة ولا رسالة ، مما عرف العالم في الشرق اوفى الغرب ، في القديم او في الحديث . . لم يبحثها او يقرأها او يدرس ابطالها ، وحفظهم من النجاح او الفشل ، او يحمل منها ما يصلح لتجاريبه واعماله .

كان يقول كل شيء ، ولا تحس انه جرح او اساء . . وكان يوجه النقد في ثوب الرواية او المثل ، وكان يضع الخطوط يترك لاتباعه التفاصيل .

كان قديرا على ان يحدث كلا بلغته وفي ميدانه وعلى طريقته . وفي حدود هواه وعلى الوتر الذي يحس به ، وعلى « الجرح » الذي يشيره .

ويعرف لغات الازهرين والجامعيين والاطباء والمهندسين والصوفية واهل السنة . ويعرف لهجات الافاليم في الدلتا وفي الصحراء وفي مصر الوسطى والعليا وتقاليدها ، بل انه يعرف لهجات الجزائريين والفتوات ، واهالي بعض احياء القاهرة الذين تتمثل فيهم صفات معينة بارزة ، وكان في احاديثه اليهم يروي لهم من القصص ما يتفق مع ذوقهم وفنهم .

بل كان يعرف لغة اللصوص وقاطنى الطريق

والقتلة ، وقد ألقى اليهم مرة حديثا ، وهو يستمد موضوع حديثه - أثناء سياحاته في الأقاليم وفي كل بلد - من مشاكلها ووقائعها وخلافاتها ، ويربطه في لباقة مع دعوته ومعالمها الكبرى ، فيجىء كلامه عجا .. يأخذ بالالباب .

كان يقول للفلاحين في الريف « عندنا زرعتان .. احدهما سريعة النماء كالقثاء . والاخرى طويلة كالقطن » .

لم يعتمد يوما على الخطابة ، ولا تهويشها ولا اثاره العواطف على طريقة الصياح والهيّاج .. ولكنه يعتمد على الحقائق ، وهو يستثير العاطفة باقناع العقل ، ويلهب الروح بالمعنى لا باللفظ ، وبالهدوء لا بالثورة ، وبالحجة لا بالتهويش .

ويعد « الحديث » عند بعض الناس آيته الكبرى غير أنني علمت من بعض المتصلين به .. انها آخر مواهبه فقد كانت ابلغ مواهبه القدرة على الاقناع ، وكسب « الفرد » بعد « الفرد » فيربطه به برباط لا ينقسم ، فيراه صاحبه صديقا خاصا ، وتقوم بينه وبين كل فرد يعرفه صداقة خاصة خالصة ، يكون معها في بعض الاحيان مناجاة ، وتنتقل بالتعرف على شئون الوظيفة والعمل والاسرة والاطفال .

وهذه اقوى مظاهر عظمته ، فهو قد يكسب

هؤلاء الاتباع فردا فردا ، واصاب منابع ارواحهم هدفا هدفا ، وان لم يكسبها جملة ولا على صفة جماعية ، وقد استطاع بحصافته وقوته وجبروته ان ينقلها من عقائدها وافكارها سواء اكانت سياسية ام دينية ، الى مذهبه وفكرته .. فتنسى ذلك الماضي ، بل وتستغفر الله عنه ، وتراه كانما كان اثما او خطأ .

ومن ابرز أعمال هذا الرجل ، انه جعل حب الوطن جزءا من العاطفة الروحية فاعلى قدر الوطن واعز قيمة الحرية ، وجعل ما بين الفنى والفقر حقا وليس احسانا ، وبين الرئيس والمرءوس صلة وتعاوننا وليس سيادة وبين الحاكم والشعب مسئولية وليس تسلطا .

وتلك من توجيهات القرآن ، غير انه اعلنها هو على صورة جديدة لم تكن واضحة من قبل .

السماحة والتكشف والتنظيم

لم يكن الرجل القرآنى ، فيما علمت يسمى الى فتنة ، أو يؤمن بالطفرة .. ولكنه كان يريد ان يقيم مجتمعا صالحا قويا حرا ، وينشئ جيلا فيه كل خصائص الامالة الشريفة ..

لقد ظهرت حركات اصلاحية كثيرة خلال هذا القرن .. فى الهند ومصر والسودان وشمال افريقيا

.. وقد أحدثت هزات لا بأس بها ولكنها لم تنتج آثارا
إيجابية ثابتة ..

وقد جاء هذا نتيجة لعجز بعض المصلحين عن
ضبط أعصابهم عند مواجهة الأحداث واندفاعهم الى
الحد الذي وصل بهم الى مرتبة الجرح قبل أن يتم
البناء ، كما جاء أثرا من آثار عزوفهم عن الاتصال
بالشعب وتكوين رأى عام مثقف .

اختفت هذه الدعوات ، وبقيت عبارات عنى الالسن
وكلمات فى بطون الكتب ، حتى قبض لها أن تبعث من
جديد وان تستوفى شرائطها ومعالمها .. وان تأخذ
فترة الحضانة الكافية لنضجها ، وأفاد الرجل من
تحارب من سبقوه ، ومن تاريخ القادة والمفكرين
والزعماء .. الذين حملوا لواء دعوة الاسلام ، ولم يقنع
بأن يكون مثلهم .. ولكنه ذهب الى آخر الشوط ،
فأراد أن يستمد من عمر وخالد وأبى بكر .. فأخذ من
أبى بكر السماحة ، ومن عمر التقشف - ومن خالد
عبقريّة التنظيم .

نقد الحصار الفريية

وقد استطاع الرجل رغم كل ما دبر لوضع حد
لدعوته أوحياته ، أن يعمل وأن يضع فى الأرض البذرة
الجديدة ، بذرة المصحف ، البذرة التى لا تموت بعد

أن ذوت شجرتها القديمة ، ولم يمت الرجل إلا بعد
أن ارتفعت الشجرة في الفضاء واستقرت .

لقد حمل حسن البنا المصحف ووقف به في طريق
رجال الفكر الحديث الذين كانوا يسخرون من ثلاث
كلمات : « شرق و اسلام و قرآن » كان الرجل يريد أن
يقول : أن للشرق أن يمحص افكار الغرب قبل أن
يعتنقها ، بعد أن غدت الحضارة الغربية في نظر اصحابها
لا توفى بما يطلب منها ، كان يقول : علينا أن نزن هذه
القيم وأن نعتقد ان ما عندنا لا يقل عما عند الغرب او
على الأقل لا يستحق الإهمال ، وازعلى الشرق ان
ينشئ للنديا حضارة جديدة ، تكون اصلح من حضارة
غرب ، قوامها امتزاج الروح بالمادة واتصال السماء
بالارض وما كنت تعرض لأمر من أمور الحضارة الغربية
الا رده الى مصادره الأولى في الحضارة الإسلامية ،
او في القرآن والسنة والتاريخ .

كان الرجل القرآني يؤمن بأن الاسلام قوة نفسية
قائمة في ضمير الشرق وانها تستطيع ان تمده بالحيوية
التي يمكن له في الأرض وتتيح له الزحف الى قواعده
واستخلاص حقوقه وحرياته .

كان يؤمن بأن الشرق وحدة قائمة كاملة .

كان لا يخاف الموت

استطاع حسن البنا ان يؤلف بين طائفة ضخمة من

الاتباع بسحر حديثه ، وجمال منظقه ، وروعة بيانه ،
فتصرف هذه المجموعه الضخمة من حول الأحراب
والجماعات والفرق الصوفيه ، وتنضوى تحت لوانه
وتطمئن له وتثق به .

كان هذا مثار حسد الناس ، ومثار حقد بعض
ذوى الراى . وكان خليفا بهم ان ينقسموا واذ يحسدوا
هذا الرجل المتجرد . الفقير . على أنه استطاع ان يجمع
الناس اليه بوسائل غاية فى البساطة واليسر ، وهى
لباقته وحسن حديثه . . فيرفعهم فوق المطامع المادية
النى يجتمع عليها الناس عادة .

وكان طبيعيا ان يشكر له بعض الناس ، وان يذيعوا
عنه بعض المرجفات فليس اشد وقعا فى نفوسهم من
ان يسلبهم احد سلطانا كان لهم . وليس ابعدا فى
نفوسهم من ان يجيء رجل من صميم الشعب ليجمع
الناس حوله باسم القرآن ، ويقول لهم ان الله قد
سوى بين الناس بالحق ، وجعل فضيلتهم عنده على
اساس العمل والتقوى .

خيل الى بعد ان انطوت حياة الرجل على هذه
الصورة العجيبة ، وثار حولها ذلك الغبار الكثيف ،
ان وقتا طويلا يجب ان يمر قبل ان يقول التاريخ الحق
كلمته ، ويروى المؤرخ النزبه قصته .

غير ان الظروف السياسية في مصر سرعان ما تغيرت
وامكن ان يكشف التحقيق في بعض القضايا بطلان كثير
مما وصفت به دهوة الاخوان المسلمين من ادعاءات ،
وان يبرا جانب هذا الرجل بالذات فيبدو نقيا
طاهرا .

وكنت قد التقيت بالرجل في القاهرة سنة ١٩٤٦
ثم عدت الى القاهرة مرة اخرى سنة ١٩٤٩ بعد ان
قضى ، وحاولت ان اتصل ببعض الدوائر التي
نعره فسمعت الكثير مما صدق نظرتي الاولى اليه .

فقد علمت انه كان في ابامه الاخيرة بحس بالموت
وكان الكثير من محبيه ينصحه بالهجرة أو الفرار ،
أو اللياذ بتقية أو خفية ، فكان ينسم للدين بقصون
عنه هذه القصة وينشد لهم شعرا فديما :

اي يومى من الموت افر
يوم لا قدر لا ارهبه
يوم لا قدر ام يوم قدر
ومن المقدور لا ينجو الحذر

وكان لا ينى لحظة عن محاولة استخلاص انصاره
من الاسر ، وكان يبلغ به الامر مبلغه ، فيستبقيظ في
الليل . ويضع كلنا يديه على اذنيه ، ويقول :

اننى اسمع صباح الاطفال الذين غاب اباؤهم في
المتقلات .

اغراه الانجليز فرفض

ان تاريخ جهاد « الرجل القرآنى » طويل .. ولكن اخصب سنواته ايام الحرب .. منذ ان خرج من المعتقل عام ١٩٣٦ ، فى هذا الوقت الذى شغلت ان الحرب الدنيا جميعها، عن الاحزاب ، وعن السياسة، وعن كل شىء ، كان الرجل لا ينام ، كان يسمي ريطوف ويذهب الى كل قرية وكل نجع وكل دسكرة يفتش عن الشباب ، ويحدث الشيوخ ، ويتصل بالعظماء والعلماء ، ويومها بهر الوزراء ، وأعلن بعضهم لانضمام الى لوائه الخفاق ، وجيشه الجرار .

وحاول الانجليز ان يقدموا عروضاً سخية .. فرفضها الرجل فى اباء .. ونامت الاحزاب فى انتظار الهدنة ، وظل الرجل الحديدى الاعصاب يعمل اكثر من عشرين ساعة لا يتعب ولا يجهد ، كانما صيغت اعصابه من فولاذ .

لقد كان يحب فكرته حبا يفوق الوصف ، ولم يكن فى صدره شىء يزحم هذه الدعوة . كان يعشق فكرته كانما هى حسناء ! لا يجهد السهر ، ولا يتعب السفر وقد اوتى ذلك العقل العجيب ، الذى يصرف الامور فى يسر ، ويقضى فى المشاكل بسرعة ويفضها فى بساطة ، ويذهب عنها التعقيد .

كان لا يحتاج الى الاسهاب ليفهم اى امر ، كأنما
لديه اطراف كل امر ، فما ان تلقى اليه اوائل الكلمات
حتى يفهم ما تريد ، بل كان احيانا يجهر بما تريد ان
نقول له ، ويفتى لك فيما تريد ان تسأل عنه .

كان نافذ البصرة .. يرى ما وراء الاشباح ..
فيه من ذلك السر الالهى قيس .

كان يلتهم كل شىء ، لاتجد علما ولا فكرا
ولا نظرية جديدة فى القانون او الاجتماع او السياسة
او الادب ، لم يقرأها ولم يلم بها .

« وحدثنى الرجل القرأنى عندما اخذت اراجعه
رايه فى صفة الاسلام للشرق :

قال : اضرب لك مثلا بتركيا : انها ستعود الى
الاسلام وان عوامل ذلك العود قد بدأت منذ الان .
كان هذا الحديث بينى وبينه عام ١٩٤٦ وقد

لاحظت فى السنوات التالية ما تحقق من قول حسن
البناء فى مايو ١٩٥٠ بعد ان مضى الرجل الى ربه حيث
هزم حزب مصطفى كمال وانتصر الحزب الذى كان
مقال عنه انه رجس .

وسالته عن الصوفية والتصوف وهل هو من الاسلام

وكان ذلك على اثر ما نشرته بعض الصحف (١) من انه سلالة مغربية تعتنق الطريقة الشاذلية فكان مما افضى به الى ان الصوفية النقية البعيدة عن التعقيد هي من لباب الاسلام ، وانها هي الدرجة التي يصل اليها الرجل الحق . وان الصوفية بالمفهوم الاصيل نمد الطبع بحب الجهاد والكفاح وافتداء الفكرة وانه يجب أن يرقى اتباعه الى هذه الدرجة ، وانه لا بأس

(١) كانت جريدة الخبر قد نشرت في ٢١ مارس ١٩٤٦ فصلا من فصول عنوانها « رهبان الليل وفرسان النهار » ، جاء فيه قول كاتبه : والذين يدرسون التصوف يعلمون ان الطريقة الشاذلية تقدر ما تحافظ على اساس الشريعة والتربية الاسلامية تحمل سر من اخطر الاسرار الوطنية الاسلامية لا يتنبه له الا من درسوا نوايخ التعميرات في بلاد المغرب الاقصى والادنى ومن يعلمون مدى نفوذ الصوفية في هذه البلاد وطريقة تربيتهم للمريدين ، لقد استطعنا ان نفهموا ان الاخوان كانوا يعملون للتربية الروحية ثم اختاروا سبعة من الخلفاء للاشراف على الاعداد للجهاد . هذه الطريقة الشاذلية التي انتهت بالمختار والسنوسي وعبدالكريم ، ثم بالادارة اولئك الذين يعتبرون من اكبر الائمة الشاذلية هناك ، ان الشاذلية عقيدة روحية سرقتها هتلر وموسليني وستالين - وهي الاعداد العميق والتربية النفسية والصلة بالله وحمل المريد على التطهر والتسامي لادراك ماله وما عليه عن طريق العقيدة ثم تركه بعد ذلك ليدافع عن عقيدته دفاع المالك لا دفاع المقلد ولا المدفوع ولا الاجير ولا المجامل .

على الاخوان من أن يأخذوا المعانى القوية الكامنة وراء
مظاهر الصوفية فينقلوها الى دعوتهم دون أن يتقيدوا
بأثوابها القديمة او مظاهرها التي لا تتفق مع روح
العصر .

فلما افضيت اليه بخواطري ، في الخوف من ان
يجتمع الناس جميعا على دعوة واحدة لا سيما وان
هناك من المواهب الاسلامية ما يحول دون ذلك .

قال لى : ان هذه الخلافات لا تحول دون ارتباط
المسلمين ، وانها احدى عوامل السعة ومقدرة الاسلام
على مجاراة العصور والازمنة والافطار .

« ونحن نعتقد ان الخلاف في فروع الدين امر لا بد
منه ، وضرورة لا بد منها ، وقد قال الامام مالك للخليفة
ابى جعفر المنصور حين طلب اليه ان يوطىء للناس
كتاب يجمعهم عليه : قال ان اصحاب رسول الله قد
تفرقوا في الامصار وعند كل قوم علم ، فاذا حملتهم
على راي واحد تكون فتنة . فضلا عن ان التطبيق
يختلف باختلاف البيئات ، وقد افنى الامام الشافعى
في مصر بغير ما افنى به في العراق وقد اخذ في كليهما
يما استبان له ولذلك فان الاجماع في الفروع مطلب
مستحيل وهو يتناقى مع طبيعة الاسلام ، ونحن نلتمس
العدول لمن يخالفوننا في الفروع ، ونرى ان هذا الخلاف

ليس حائلادون ارتباط القلوب وتبادل الحب والاخوان
اوسع الناس صدرا مع مخالفيهم « ،

* ولما سألته عن الاسلام والسياسة وانا ارى
اهما لا يتصلان بحال .

قال لى : اترى ان الاسلام بغير السياسة لا يكون
الا هذه الركعات وتلك الالفاظ وان الاسلام فى الحق
عقيدة ووطن وجنس وسياسة وثقافة وقانون ولو
انفصل الاسلام عن السياسة لحصر نفسه فى دائره
طبيقة ولما ترك للمسلمين الا القشور والمظهيريات
والاشكال .

.. وقال لى فيما قال : ان سر انتصار الغرب
وظفره هو الاسلام ،

قلت مستغربا كيف : قال من ناحيتين انه حفظ
انثراث القديم وزاد عليه حين اسلمه لاوريا عن طريق
قرطبة والقسطنطينية ، وان الغرب انتصر باخلاق
الشرق ومبادئه ، فقد عرف الغرب الحصف كيف
وصل الشرق بهذه الاخلاق الى الذروة فأسس تلك
الامبراطورية الضخمة فاستعمار هذه الاخلاق ونجح
حين غفل عنها الشرق وهو صاحبها وتخلف .

ومضى يقول لى : ان ما نراه الآن فى الشرق ،

يس هو الاسلام ولكنهم المسلمون : اسما ووراثة ، هؤلاء الذين لو فهموا حقيقتهم لوصلوا .

وحدثني بعض اتباع الرجل الفرآني عما لقي الرجل ابان زيارته لأرض الحجاز ، وكيف تقاطرت على بيته الذي كان ينزل فيه ، وفود المسلمين من اندونيسيا وجاوه وسيلان والهند ومدغشقر وربونيون ونيجيريا والكمرون وايران والافغان . تتعرف عليه وتجتمع به وهو مع كل مجموعة يتحدث عن أمور هي مصدر اهتمام الفريق الذي يلتقى به ، يحدثهم عن قضاياهم ومشاكلهم فيبهرهم كأنه قادم على التو من بلادهم رليسوا هم القادمين عليه .

وكان فريق من اتباعه يهرعون اليه يحدثونه عما يقول بعض المتشددين فيقول : لا توحيد بغير حب ، لا توحيد بغير حب .

واعجب العجب ان تستمع الى الكلمات التي يلقيها الرجل الي اتباعه : وفيها تتمثل التضحية الخالصة والإيمان :

* « اننا قد عرفنا الطريق الى اوطاننا الاسلامية : انها هي الجهاد والموت والفسداء : انما هي الطريق الوحيد الذي سلكه المؤمنون في كل زمان ومكان .

* « ان الدنيا كلها تائهة ضالة تبحث عن الحق
والمثل العليا فلا تحده فيما لديها من نظم وفلسفات
ومبادئ : رسالتكم العظمى للانسانية ان تحرروها
رتقذوها وتسمدوها .

* « ان الشرق يتهاى لنهضة كبرى ووثبة عظمى
وان الغرب يقف له بالمرصاد ولا بد لنا من ان نتسلم
راية الحضارة الانسانية لنسعد الناس ونحررهم بعد
ان فشل الغرب وتخبط .

* « ان الدنيا حائرة ضالة لاهية : وكلها تنظر
الى القيادة ومكانها شاعر ولن يعلاها غيركم لاقرار
رسالة السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واحقاق الحق وتحرير الانسان بمبادئ من وحي
اسماء .

« ومما استلقت نظرى فى الرجل القرآنى انه يضع
الحدود بين الخصومات الشخصية والخصومات
الفكرية : وفي هذا يقول :

! والخصومة بيننا وبين قوم ليست خصومة
شخصية ابداء، ولن تكون ولكنها خصومة فكرة ونظام:
هم يريدون لهذه الامة نظاما اجتماعيا ممسوخا من
تقليد الغرب فى الحكم والسياسة والقضاء والتعليم

والاقتصاد والثقافة ، ونحن نريد لها وضعاً ربانياً
سليماً من تعاليم الإسلام وهدية وارشاده .
فاذا ذهبنا نتعرف على حقيفة الإسلام كما يفهمه
(حسن البناء) وجدناه (عمرياً) : انه يفهم الإسلام
كما عرفه عمر بن الخطاب .

« اذا احسنت فاعينوني واذا اسأت فقوموني »

وفهمه كما عرفه ابو بكر : الضعيف عندي قوى
حتى اخذ الحق له والقوى عندي ضعيف حتى آخذ
الحق منه ، اطيعوني ما اطمت الله فيكم فاذا عصيته
فلا طاعة لي عليكم .

وكان يرى ان يكون الحاكم المسلم من الشجاعة
بحيث يفبل ما قبل عمر عندما جابهه الرجل بكلمة
(اتق الله) فقال دعها فليقلها لي ، لا خير فيكم اذا لم
تقولوها ولا خير فينا اذا لم نقبلها .

ويرى مسئولية الحاكم في حدود قول عمر :

« لو عثرت شاه بشاطيء الفرات لظننت ان الله
عز وجل سألني عنها يوم القيامة » .

ويرى الحاكم من حيث القدرة على الانصاف من
الفس كقول عمر « اصابت امرأة واخطأ عمر »

ويؤمن بتطبيق نظام عمر في العشاء اجمل الناس عندك
سواء . لا تأخذك في الله لومه لانم ، واياك والانرة
والمحابة فيما ولاك الله ،

ويردد في أكثر من مرة قول الرسول لاسامة :
انشفع في حد من حدود الله والله لو ان فاطمه بنت
محمد سرفت لقطع محمد يدها .

ويحب ان يطبع المسلم حياته بطابع كلمة عمر
الخالدة :

« أحب من الرجل اذا سيم الخسف ان يقول (لا)
بملا فمه .

وهو على هذه الاسر من المفاهيم الاسلامية المميقة
كان بنشىء جيله وبينى كتبته ويرسم «الطوبا» التي
اذا طبقت حقق الاسلام في الشرق دوره وزحف الى
مكان الزعامة العالية والصدارة الانسانية .
ويرى ان قاعدة الاسلام الاساسية هي « لا ضرر
ولا ضرار » .

ويؤمن بسد الدرابع واعطاء الوسائل احكام
المقاصد والغايات .

وجملة القول في الرجل القرآنى : انه يفهم الاسلام

فهما واضحا سهلا يسيرا كما جاء في حديثه معي ،
على الطريقة التي فهم بها محمد الاسلام انه قريب في
نظري من ابي حنيفة الذي اصر على رفض القضاء ،
ومالك الذي افتى في البيعة وابن حنبل الذي اريد على
هوى فلم يرد .

واجد حسن البناء قد حرر نفسه من مفريات
انجد الناقص . ومفاتن النجاح المتور ومثل هذا
انتحرر في نظر امرسون هو غاية البطولة ولذلك فلم
يكن عجيبا ان يقضى الرجل على هذه الصورة العجيبه
فكان فيها كشانه دائما . غير مسبق .

كان الناس يرونه غريبا في محيط الزعماء ، بطابعه
وطبيعته . فلما مات كان غريبا غاية الغرابة في موته
ودفنه . فلم يصل عليه في المسجد غير والده وحملت
جثمانه النساء ولم يمش خلف موكب احد من هؤلاء
الأتباع الذين كانوا يملأون الدنيا لسبب بسيط هو
انهم كانوا وراء الاسوار .

لقد نقل الرجل بعد ان اسلم الروح الى بيته في جوف
النيل ومنع اهل البيت من اعلان الفاجعة . وغسله
والده . وخيم على القاهرة تلك الليلة كابوس مزعج
كئيب . ولقد كان خليقا بمن سلك مسلك ابي حنيفة
وماتت وابن حنبل وابن تيمية مواجهة للظلم ومعارضة
للباطل ، ان تختتم حياته على هذه الصورة الفريدة

المروعة ، التي من اى جانب ذهبت تستعرضها ،
وجدتها عجيبة مدهشة .

انه كان يدهش الناس في كل لحظات حياته ،
فلا بد ان يدهش الاجيال بختام حياته ، ان الالوف
المؤلفة قد سارت في ركب الدين صنع لهم الشوق
بطولات زائفة ، افلا يكون حسن البناء قد رفض هذا
التقليد الذي لا يتم على غير النفاق .

ان هناك فارقا ازليا بين الذين خدعوا التاريخ وبين
الذين نصحوا الله ولرسوله ان هذا الختام المحيب
سيظل مدى الاجيال يوفد في نفوس رجال الفكر النور
والضياء ، ويبعث في قلوب الذين آمنوا معه ما بعثه
الحق في نفوس اهله حتى يتمكنوا له .

ان مقتله شبهه بمقتل الحسين ، انها العوامل
المختلفة التي تجمعت لوضع حد للفكرة الحية التي
كانت تندفع الى الامام كالأعصار .

وحين عجز (القضاء) انقلد (القدر) حكمه .

ان الامر الذي اسأل منه فلا اجد له جوابا : هل
هناك علاقة ما بين الاسلام كما كان يفهمه حسن البناء
ويدعو اليه وبين نهايته ، ان كثيرين يدعون الى الاسلام
ويحملون اسمه ، فهل هناك خلاف جوهري بين ما كان
يدعو اليه حسن البناء وما يدعو اليه هؤلاء .

لاى لا اعرف الاجابة الصحيحة ادع ذلك للتاريخ